الفصل الثاني
انفعال الغضب

ما هو الغضب ؟

الغضب انفعال من النوع البسيط، إذ لا يتضمن أكثر من جانب وجداني واحد.

فائدة الغضب:

يؤدي الغضب وظيفة هامة للإنسان؛ حيث إنه يساعده علي حفظ ذاته فعندما يغضب الإنسان تزداد طاقته علي القيام بالمجهود العضلي العنيف. مما يمكنه من الدفاع عن النفس أو التغلب علي العقبات التي تعوقه عن تحقيق أهدافه الهامة" [1] "فقد يسهم الغضب في مستوى معين منه في إعادة التوازن حين يعبر عنه الإنسان بأسلوب معتدل، فيوجه سلوكه توجيها مفيدا" [2].

التعبير عن الغضب:

" لكل انفعال ناحية نزوعية خاصة به، فالغضبان يميل إلي مقاومة من أغضبه وإهلاكه إذا قدر، فإن لم يقدر ضرب الأرض بقدميه، أو رفص ما يصادفه من الأواني برجله ... لذا يوصف كل من الغضب والفرح بانفعال الأقدام، لما يصحبه من نشاط عام ظاهر يتوجه ضد العدو في حالة الغضب، ويظهر أثره في الحركات الحرة الطليقة في حالة الفرح.

"ويعد كل انفعال حالة وجدانية مركبة تصحبها تغيرات جثمانية متعددة، ظاهرة وباطنة؛ واضطرابات عصبية من المستطاع ملاحظتها ... وربما يكون الغضب الحاد أشد الانفعالات تأثيرا في الجسم والعقل؛ فلا شك أن كلا منا يذكر مقدار شعوره بالتعب والضعف العام عقب الثورة الغضبية... ولو أنهم فكروا لعلموا أن الغضب استنفد قوى الإنسان الطبيعية، ويضيع جزءا كبيرا من نشاطه العصبي المدخر في خلاياه العصبية، ذلك أن جميع الأجهزة تقريبا تكون في أثناء الغضب في حالة هيجان واضطراب ونشاط شديد، فتزيد ضربات القلب، وتسرع الدورة الدموية في سيرها. وتضطرب

---

(١) القرآن وعلم النفس، ٧٩.

(٢) البناء النفسي في الإنسان، ١٥٦.

الأعصاب، وتتوتر العضلات، وتجهد الأحبال الصوتية وجميع الأعضاء التي لها علاقة بالكلام ورفع الصوت، وقد يبلغ الهيجان أشده فيزيد تمدد الأوعية الدموية حتى تتفجر، فيذهب الغضبان ضحية غضبه"[1]

وقد ورد ذكر الغضب في القرآن الكريم علي صورتين فقط هما:

الصورة الأولي لانفعال الغضب في القرآن:

الصورة التي نقصدها هنا لانفعال الغضب في القرآن هي ما جاء من تصوير دقيق لانفعال الغضب لحظة حدوثه، فنجده يصف بدقة حالة الانفعال التي يعيشها الفرد بملامحها الداخلية والخارجية كأنها تحدث الآن، فنعيش ذلك الانفعال معه، وقد جاءت هذه الصورة لوصف حالة الغضبان في مواضع منها:

١- وصف غضب موسى عندما عاد فوجد بني إسرائيل يعبدون العجل.

٢- عند وصف **نمو انفعال غضب** لدي الخضر من كثرة أسئلة موسي.

٣- وصف غضب وغيظ المنافقين.وعضهم أناملهم حسدا للرسول الكريم.

٤- كظم الناس غضبهم وخوفهم يوم القيامة.

الصورة الثانية لانفعال الغضب في القرآن:

لقد ورد في القرآن أخبار كثيرة عن حالة غضب لدي شخص ما (مؤمنا/ كافرا) دون وصف لها، لكنها رغم كثرتها لا تبين الجانب النفسي واللغوي للغضب؛.لذا جعلت دراستي هنا قاصرة علي الصورة الأولي للغضب، وسأحاول تقديم تحليل دقيق ودراسة متأنية لهذا النموذج الذي يعرض لانفعال الغضب بالتفصيل.

الصورة الأولي: تصوير انفعال الغضب

الموضع الأول: غضب موسى من قومه:

نوع الانفعال: انفعال ظاهر قولي وحركي في المكان

تصور هذه الآية انفعال الغضب الذي أصاب موسي عندما رجع إلى قومه فوجدهم يعبدون العجل قال تعالي: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً**

(١) علم النفس التربوي، ١٦٠ ــ ١٩٩.

قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [1] .

مع المفسرين:

القرطبي:

يمكن عرض كلام الشيخ في النقاط التالية:

١ـ قوله تعالى: **(ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا)**... أسفا: شديد الغضب. قال أبو الدرداء: الأسف منزلة وراء الغضب أشد من ذلك. وهو أسف وأسف وأسفان وأسوف. والأسيف أيضاً الحزين. ابن عباس والسدي: رجع حزينا من صنيع قومه. وقال الطبري: أخبره الله عز وجل قبل رجوعه أنهم قد فتنوا بالعجل؛ فلذلك رجع وهو غضبان.

٢ـ قوله تعالى: **(قال بئسما خلفتموني من بعدي)** ذم منه لهم؛ أي بئس العمل عملتم بعدي. يقال: خلفه؛ بما يكره. ويقال في الخير أيضا. يقال منه: خلفه بخير أو بشر في أهله وقومه بعد شخوصه .

٣ـ **(أعجلتم أمر ربكم)** أي سبقتموه. والعجلة: التقدم بالشيء قبل وقته، وهي مذمومة.... ومعنى **(أمر ربكم)** أي ميعاد ربكم، أي وعد أربعين ليلة. وقيل: أن تعجلتم سخط ربكم. وقيل: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر من ربكم.

٤ـ قوله تعالى: **(وألقى الألواح)** فيه مسألتان: الأولى: أي مما اعتراه من الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل، وعلى أخيه في إهمال أمرهم.

٥ـ قوله تعالى: **(وأخذ برأس أخيه يجره إليه)** أي بلحيته وذؤابته. وكان هارون أكبر من موسى –صلوات الله وسلامه عليهما - بثلاث سنين، وأحب إلى بني إسرائيل من موسى؛ لأنه كان لين الغضب. " [2].

الرازي:

١ـ قوله تعالى: **(وَلَمَّا رَجَعَ موسى إِلى قَوْمِهِ غضبان أَسِفًا)** يدل على أنه حال ما كان راجعاً كان غضبان أسفاً، وهو إنما كان راجعاً إلى قومه قبل

---

(١) سورة الأعراف، ١٥٠ .

(٢) تفسير القرطبي، ج/٤، ص ٢٧٢٢ــ ٢٧٢٥.

وصوله إليهم، فدل هذا على أنه عليه السلام قبل وصوله إليهم كان عالماً بهذه الحالة. الثاني: أنه تعالى ذكر في سورة طه أنه أخبره بوقوع تلك الواقعة في الميقات.

٢ـ المسألة الثانية: في الأسف قولان: الأول: أن الأسف الشديد الغضب، وهو قول أبي الدرداء وعطاء، عن ابن عباس واختيار الزجاج. واحتجوا بقوله: **(فَلَمَّا ءاسَفُونَا انتقمنا مِنْهُمْ)** [الزخرف: ٥٥] أي أغضبونا. والثاني: وهو أيضاً قول ابن عباس والحسن والسدي، إن الآسف هو الحزين. وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن أبا بكر رجل أسيف أي حزين. قال الواحدي: والقولان متقاربان، لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب، فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت، وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت. فتسمى إحدى هاتين الحالتين حزناً والأخرى غضباً، فعلى هذا كان موسى غضبان على قومه لأجل عبادتهم العجل، أسفاً حزيناً، لأن الله تعالى فتنهم. وقد كان تعالى قال له: **(إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ)** [طه: ٨٥]...

٣ـ أما قوله: **(بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِى)** فمعناه بئسما قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب إنما يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل، وهم: هارون عليه السلام والمؤمنون معه، ويدل عليه قوله: **(اخلفنى فِى قَوْمِى)** [الأعراف: ١٤٢].

٤ـ وأما قوله: **(أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ)** فمعنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة، لأن معناها عمل الشيء في أول أوقاته.

٥ـ ولما ذكر تعالى أن موسى رجع غضبان ذكر بعده ما كان ذلك الغضب موجباً له، وهو أمران: الأول: أنه قال: **(وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ)** يريد التي فيها التوراة، والأمر الثاني: من الأمور المتولدة عن ذلك الغضب. قوله تعالى: **(وَأَلْقَى الألواح وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ)** [1].

(١) تفسير الرازي، المجلد الثامن، ج ١٥، ص١٠.

خواطر الشيخ الشعراوي (تحليل نفسي للآية):

نذكر هنا بعض خواطر الشيخ حول الآيات نظرا لتحليله النفسي الجيد الذي ذكره عن حالة الغضب التي أصابت موسى لحظة رؤيته قومه يعبدون العجل:

١ـ كون موسى يعود إلى قومه حالة كونه غضبان أسِفاً، يدلنا على أنه علم الخبر بحكاية العجل. والغضب والأسف عملية نفسية فيها حزن وسموها: " المواجيد النفسية " ، أي الشيء الذي يجده الإنسان في نفسه، وقد يعبر عن هذه المواجيد بانفعالات نزوعية، ولذلك تجد فارقاً بين من يحزن ويكبت في نفسه، وبين من يغضب، فمن يغضب تنتفخ أوداجه ويحمر وجهه ويستمر هياجه، وتبرق عيناه بالشر وتندفع يداه، وهذا اسمه: غضبان. وصار موسى إلى الحالتين الاثنتين؛ وقدّم الغضب لأنه رسول له منهجه. ولا يكفي في مثل هذا الأمر الحزن فقط، بل لابد أن يكون هناك الغضب نتيجة هياج الجوارح.

٢ـ وقديماً قلنا: إن كل تصور شعوري له ثلاث مراحل: المرحلة الأولى. مرحلة إدراكية، ثم مرحلة وجدانية في النفس، ثم مرحلة نزوعية بالحركة، وضربنا المثل لذلك بالوردة. فمن يرى الوردة فهذا إدراك، وله أن يعجب بها ويسر من شكلها ويطمئن لها ويرتاح، وهذا وجدان. لكن من يمد يده ليقطفها فهذا نزوع حركي. والتشريع للإدراك أو للوجدان لكنه قنن للسلوك. إلا في غض البصر عما حرم الله وذلك رعاية لحرمة الأعراض. والأسف عند موسى لن يظهر للمخالفين للمنهج. بل يظهر الغضب وهو عملية نزوعية، ونلحظ بكلمة أَسِف. وهي مبالغة. فهناك فرق بين أَسِف وآسف، آسف خفيفة قليلاً، لكن أسِف صيغة مبالغة، مما يدل على أن الحزن قد اشتد عليه وتمكن منه.

٣ـ **(قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ)** [الأعراف: ١٥٠] وقوله سبحانه: **(أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ)** أي استبطأتموني، وهذا نتيجة لذهاب موسى لثلاثين ليلة وأتممها بعشر، فتساءل موسى: هل ظننتم أنني لن آتي؟ أو أنني أبطأت عليكم؟ وهل كنتم تعتقدون وتؤمنون من أجلي أو من أجل إله قادر؟.

٤. (أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ)، ونعلم أن الألواح فيها المنهج، وقدر موسى على أخيه: (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) وهذا " النزوع الغضبي " الذي جعله يأخذ برأس أخيه، كأن الأخوة هنا لا نفع لها "[1]، إن ما قاله الشيخ يدل علي سعة علمه، وفهمه بدقة للجوانب النفسية للقضية؛ فلا يحتاج إلي توضيح.

التحليل اللغوي:

نجد الآيات قد صورت الانفعال بدقة بالغة من خلال وسائلها المختلفة منها:

١. وصف حالة موسى عند عودته بـ "غضبان أسفا" فجمعت بين الانفعالين.

٢. وصف رد فعل موسى على غضبه لسلوكهم جاء في صورتين:

أ) قوليٍّ: "بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم" قدَّمَ وصف سلوكهم (بئسما) علي سلوكهم (خلفتموني) لشناعته، وأردف بسؤال استنكر فيه عجلتهم.

ب) حركيٍّ بأن:

١. ألقى الألواح.

٢. ثم أخذ برأس أخيه يجره إليه؛ وذلك في تسلسل منطقي دقيق للأحداث، فهو أولا أفرغ يده بأن ألقي ما فيها من ألواح، فأصبحت فارغة، ثم أخذ بها رأس أخيه يجره؛ فيكون وصفه بهذا دقيقا منطقيا. لقد صورت الآيات في جمل قصيرة شدة غضب موسى بالقول والحركة والفعل

التفسير النفسي لانفعال الغضب:

قال د. نجاتي عن هذه الآية "وقد جاء في القرآن وصف لانفعال الغضب وتأثيره في سلوك الإنسان، نجد ذلك فيما ذكره القرآن عن غضب موسى عليه السلام حينما عاد إلي قومه ووجدهم يعبدون العجل ... فألقى الألواح وأمسك برأس أخيه يجره إليه معاتبا "[2] نعرض الموقف في نقاط محددة هي بالترتيب:

---

(١) موقع دار الإيمان الشبكة العنكبوتية.

(٢) القرآن وعلم النفس، ٣٠.

١- بعد أن عاد موسي من عند ربه، وقد أخبره ربه بأنه اختبر قومه ففشلوا فكان لقاؤه بهم رد فعل وليس فعلا؛ فقد أعلمه الله سبحانه بالفعل الذي سبب غضبه، وهو عبادتهم للعجل، فوصفت الآيات رد الفعل، وقد عرفنا أن الله أخبره بذلك من قوله تعالي: ﴿إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥]، وقد أخبرت الآيات هنا عن حالته الانفعالية ونوعها عند عودته فقط (غضبان أسفا) ثم جاء ذكر رد الفعل.

٢- هذا يعني أن الإنسان يمكنه أن يخزِّن انفعاله ويخفيه حتى يأتي الوقت المناسب ليظهره، فقد أخفي موسى انفعال غضبه أمام ربه، ثم أظهره عند عودته أمام قومه، ولم يظهره أمام ربه تأدبا مع الله، ولكي يكون الانفعال أمام المتسبب فيه، فيعقابه عليه، ويتلقي عقابه مباشرة.

٣- جاء رد الفعل:

أ - قولي: بدأ به ليعبر عمّا بداخله من انفعال الغضب وسببه؛ ليكون مبررا لأي سلوك سيفعله؛ فإنه سيكون رد فعل لانفعال الغضب المخزن داخله.

ب - حركي: كان رد فعله الثاني حركي؛ فقد زاد انفعاله ونما، مما أفقده الشعور بما بين يديه من ألواح ظل ينتظرها أربعين ليلة، فألقاها لشدة انفعاله، فهو لا يراها ولا يشعر بها، ثم تنطلق براكين الغضب من داخله فيأخذ برأس أخيه يجره، فلم تمنعه علاقة الأخوة من فعل ذلك، ودافعه إلي هذه الثورة هو الغضب لأنه رسول الله فلابد أن يثور لله ولدينه فهو لا ينفعل ولا يغضب لنفسه بل لله .

كل تلك الأفعال كانت نتيجة لعدم سيطرته علي مخه، وأن أعضاء جسده تتلقى الأمر بالحركة من المخ مباشرة وعبر عصبه السمبتاوي، دون تدخله.

الفرق بين رد فعل موسى عند غضبه وعند خوفه:

كان رد فعله عند الخوف غير لغوي؛ فلم ينطق بكلمة، لأن الفزع الشديد أسكته، لكنه كان حركيا بأن ولي مدبر ولم يلتفت، أما في حالة غضبه فقد كان رد فعله لغويا، فقال: بئسما...، وحركيا، بأن ألقي الألواح. لماذا؟ لأن:

أ ـ انفعال الغضب هو ثورة النفس، فهو ينطلق من نفسه، فخرجتْ نفسه لتعبر عن نفسها، فتكلم وتحرك معا في وقت واحد، فبطش بحواسه كيفما شاء وسبهم بلسانه؛ خاضعا لبركان غضب نفسه الذي ثار داخله، فأمره بأفعال لغوية وحركية ففعلها.

ب ـ أما انفعال الخوف: فإنه ثورة المخ التي تنطلق منه، في منطقة أخري لا سيطرة للنفس عليها، هي المخ الذي أبلغه عن طريق الحارس الأمين للجسد، وهو العصب السمبتاوي؛ أن هناك شيء سيدمر هذا البناء الذي هو حارس عليه فجاء رد الفعل دون تفكير أو رجوع إلي نفس موسى، ولا إلي لغته ليأخذ عبارة منها ينطق بها، فالموقف أكبر من ذلك؛ لهذا أخذ أوامره من (المخ) مباشرة، فهو المسيطر علي كل أعضاء الجسد؛ بأن يولّي ويفر من المكان، ولا تلتفت خلفه؛ فعل ذلك فورا.

ما بعد الغضب:

ثم يأتي قوله تعالي بعد ذلك **﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾** [1] تصور انفعال الغضب عنده كأنه إنسان يصيح ويتكلم ويثور، ثم يسكت ويهدء، إذن فالذي كان يتكلم ويتحرك ويفعل كل هذا ليس موسى، بل انفعال الغضب الذي سيطر عليه، ويمكننا القول: ليس موسى الذي يتحدث ويفعل كذا وكذا، بل ثورة الغضب وبركانها التي أمرته بهذا القول والفعل، قال القرطبي: "سكت أي سكن ... قال عكرمة: سكت موسى عن الغضب، فهو من المقلوب كقولك: أدخلت الإصبع في الخاتم وأدخل الخاتم في الإصبع[2]. وعلي الرغم من هذا التفسير فإن الذي حرك موسى لهذا الفعل والقول هو انفعال الغضب الذي سيطر عليه من أجل الله، فقد رفض أن يُعبد غيرُ الله، لهذا فالذي سكت عن موسي هو انفعال الغضب، وثورة الغضب لله التي انطلقت من داخله.

---

(١) سورة الأعراف، ١٥٤ .

(٢) تفسير القرطبي، ٢٧٢٨/٤

الموضع الثاني: غضب الخضر من موسي (نمو الانفعال)

نوع الانفعال: انفعال ظاهر قولي وفعلي

هذا نموذج آخر لانفعال الغضب صورته الآيات القرآنية بصورة رائعة تدل علي أن الانفعال يبدأ هادئا ثم ينمو وتزيد فيه الأحداث، فيكبر حتى يصير ثورة عارمة، وتأتي اللغة القرآنية لتصوره بصورة دقيقة في تعبير بليغ، هو:

قصة موسي مع الخضر عليهما السلام:

هذه قصة انفعالين ظهرا وتطورا معا هما: انفعال الأستاذ الغاضب (الخضر) من تلميذه، وانفعال التلميذ المعتذر عن كثرة أخطائه (موسي) عليهما السلام.

١- تبدأ القصة بخروج التلميذ سعيا في طالب العلم، وإصراره علي الوصول له: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠فسأظل ماضيا في طريقي باحثا أحقابا عن المعلم.

٢- شهادة الله تعالى للأستاذ بسعة علمه وأن الله آتاه رحمة منه وعلما: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. فقد أضافه الله إليه، وأن ما لديه من علم هو من الله سبحانه.

٣- ثم طلب تعلم وتلمذة؛ مقدم من التلميذ موسى إلى الأستاذ الخضر: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

٤- رد الأستاذ بخطاب تحذيري إلى التلميذ من عدم صبره على هذا العلم: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧].

٥- تعليل المعلم عدم قدرة التلميذ على التعلم: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] بأنه لا يطيق الصبر علي ما لم يعلم.

٦- وعد التلميذ بالصبر على تلك الدروس وعدم عصيان أمر أستاذه: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] .

٧- بداية انفعال الغضب لفشل التلميذ في اختباره الأول، وتذكيره بتحذيره له: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢].

٨- بلوغ انفعال الغضب لدى الأستاذ إلى قمته، لتكرار التلميذ الخطأ نفسه: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥].

٩ـ ما بعد ثورة الغضب: اعتذار التلميذ واختياره عقابه بنفسه، وإيجاد العذر لأستاذه: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦].

١٠ـ تكرار الخطأ وتنفيذ العقاب دون غضب أو اعتراض من التلميذ: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

١١ـ المعلم يشرح المعلومات المجهول في الدرس للتلميذ التي كانت سب فشله في التعلم: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] .

١٢ـ الأستاذ يلخص درسه بعد الإنهاء من الشرح: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] .

إن الدرس كله يلخص في عبارة واحدة تكررت خمس مرات في آيات متتالية هي (تستطيع معي صبرا) فظهر من الموقف التعليمي:

١ـ الهدف التعليمي: تعليم موسى الصبر على ما لم يعلم حتى يُعْلَم.

٢ـ النتيجة التعليمية: فشل موسى لحرصه على تعلم كل شيء بحينه.

٣ـ الأثر الصوتي لتكرار العبارة: ظهور نغم واحد موزع بالآيات.

هذه الآيات على تلك الصورة من التسلسل وضحت وجود انفعالين معا في موقف واحد، وكيف نما الانفعالان معا في وقت واحد وموقف واحد، وكيف استطاع التعبير القرآني تصويرهما معا.

مع المفسرين:

الرازي:

قال: "وأنه تعالى حكى عن ذلك العالم أنه ما زاد على أن ذكَّره ما عاهده عليه فقال: (**قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**) وهذا عين ما ذكره في المسألة الأولى إلا أنه زاد ههنا لفظة لك لأن هذه اللفظة تؤكد التوبيخ؛ فعند هذا قال موسى: (**قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي**) مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته، وهذا كلام نادم شديد الندامة، ثم قال: (**قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا**) والمراد منه أنه يمدحه بهذه الطريقة من حيث احتماله مرتين أولا وثانيا، مع قرب المدة" [1]. لقد استخلص الرازي من زيادة

(١) تفسير الرازي، المجلد ١١، ج٢١، ص١٤١.

لفظة "لك" معنى نفسيا؛ هو الدلالة على انفعال الخضر من كثرة أسئلة موسي؛ فعبر الرازي بكلمة (التوبيخ) عن هذا الانفعال؛ مما استوجب على موسى أن يقول معتذرا: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني مما يعني إدراك موسى لخطئه، واختياره عقابه بنفسه، وإشارة إلى اعتراف موسى بصبر الخضر عليه، كذلك إدراك الرازي لقيمة كلمة (لك) ودلالتها الانفعالية، ورد فعل التلميذ علي انفعال أستاذه باختياره العقوبة التي توقع عليه في حالة تكراره الخطأ نفسه كاعتذار منه لخطئه، وندم منه على الرغم من حرصه الشديد على مصاحبة الخضر في أسفاره، فعدم مصاحبة الخضر تعد أكبر عقوبة علي موسى أختارها بنفسه علي نفسه، وقد أوجد العذر لأستاذه..

التحليل النفسي واللغوي للموقف:

اجتمَع في هذا الموقف انفعالان؛ ينموان معا، كلاهما يختلف عن الآخر، فالأول انفعال الغضب، والثاني انفعال الندم والاعتذار عن الخطأ، فجاءت اللغة بوسائلها المختلفة لتعبر عن ذلك النمو؛ فكل من الانفعالين يسلك منهجا خاصا به في التعبير عن نفسه وعن نموه .

الأول: انفعال الغضب

١ـ بدأ بالتحذير من الوقوع في الخطأ لعدم قدرة موسى على الصبر.

اللغة :

أ ـ أكد علي تحذيره له بـ إنَّ، وأشار إلي نفي فعله ذلك مستقبلا بـ لن.

ب ـ الاستفهام الاستنكاري بين أن عدم صبره جاء لرغبته في العلم.

ج ـ مجيء إن واسمها (كاف الخطاب) في كلمة واحد وجه التحذير له في شدة.

٢ـ شرط التعلم: أبلغ الأستاذ تلميذه شرطه الوحيد لكي يعلمه، بالَّا يسأل.

اللغة:

استخدام إن الشرطية جمع بين حدثين إتباع الخضر.وعدم سؤال موسى.

٣ـ تذكير التلميذ بالتحذير.السابق حمل معني التهديد الضمني له.

اللغة:

أ ـ استخدام الاستفهام الاستنكاري المنفي بغرض توبيخه علي ما فعل

ب ـ تكرار التحذير السابق (إنك لن تستطيع معي صبر) .

٤ـ بلوغ قمة الغضب مع توبيخ التلميذ لكثرة نسيانه وسؤاله.

اللغة:

استخدام عبارة التحذير نفسها للمرة الثالثة مع زيادة كلمة (لك) للتوبيخ .

الثاني: انفعال الندم والاعتذار

١ـ بدأ بالوعد بالطاعة مقابل المصاحبة فإن صبر وأطاع صحبه .

اللغة:

أ ـ استخدم السين في أول كلامه ليعبر عن وعده القادم.الذي سيفعله.

ب ـ وضع المشيئة بين المفعولين؛ لبيان أن مشيئة الله شرط لصبره.

٢ـ الاعتذار الأول وتعليله له، وطلب الرفق، وأن الخطأ بسبب النسيان

اللغة:

أ ـ ظهور كلمة اعتذار أصبحت شائعة بين كل الناس: (لا تؤاخذني).

ب ـ استخدم لا الناهية في (لا تؤاخذني ولا ترهقني) تأدبا مع أستاذه.

ج ـ تعليل سبب نهيه بعده مباشرة؛ ليكون ردا علي سؤال لماذا نهاه؟

٣ـ الاعتذار الثاني لم يجد تعليلا له، مما استوجب معه أن يضع العقوبة علي نفسه، وهو اعتذار ثالث، واعتراف منه بالخطأ غير المعلل، .وإقراره بصبر أستاذه عليه، وسعة صدره، وتحمله لكثرة أسئلته.

اللغة:

أ ـ بدأ بـ (إن) الشرطية ليحدد العقاب علي نفسه حالة تكراره الخطأ

ب ـ استخدم (قد) قبل الفعل بلغت للتأكيد علي بلوغه غاية الصبر.

اجتماع الانفعالين معا في عبارة:

بلغ الانفعالان القمة لديهما، فقد ضاق الأستاذ من التلميذ وضاق التلميذ من نفسه، عندها وصلا لعبارة لاقت قبولا لديهما هي(هذا فرق بين وبينك).

القيمة اللغوية لتكرار العبارة التحذيرية ثلاث مرات وهي:

١. قال **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** (الآية٦٧)
٢. قال أَلَمْ أَقُلْ **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** (الآية٧٢)
٣. قال أَلَمْ أَقُل لَّكَ **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا** (الآية٧٥)

بالمقابلة بين العبارات الثلاثة يتبن الآتي:

أ ـ تكرار العبارة الأولي ثلاث مرات بصورة متطابق تماما بالعبارتين .

ب ـ تكرار العبارة التحذيرية الأولي؛ جاء تذكيرا له بما قاله في الأولى.

ج ـ بدأ نمو الانفعال في أول العبارتين التاليتين ليفرغ شحنته وثورته.

د ـ العبارة الثالثة تمثل قمة نمو الانفعال مع قمة الزيادة اللغوية، فدلَّ الثاني علي الأول، فكان قمة الزيادة اللغوية (ألم أقل لك) هي قمة نمو انفعال الغضب عنده.

هـ ـ استخدام الاستفهام المنفي مرتين، دلَّ علي شدة استنكاره لفعله، وصمت موسى دون رد عليهما، هو إقرار منه بقول الخضر، واعتذار واعتراف بخطئه.

" كظم الغيظ / تخزين الانفعال ":

هناك سلوك يأتي أحيانا مصاحبا للانفعال سواء كان انفعال خوف أو غضب أو غيرهما، فهذا السلوك هو رد فعل لانفعال الغضب، وتابع له؛ وذلك بكظمه، وهنا لا نسميه غضبا؛ بل تسميه غيظا؛ فهو غضب مع عدم القدرة علي التعبير عنه، فيضطر المنفعل إلي إخفائه، فنقول فلان يكظم غيظه، وهو حانق، فيخفيه لأن الوقت والمكان غير مناسبين لإظهاره، ويمكن تسميته (تخزين الانفعال) وهذا السلوك يشير إلي قدرة بشرية خاصة بالبشر، (وقيل إن بعض الحيوانات تفعل ذلك مثل الجمل، قيل إنه يخزن غضبه حتى تأتيه الفرصة فينتقم ممن أغضبه)، وقد أشار القرآن الكريم إلي تخزين الانفعال في مواضع كثيرة، منها:

أ ـ كظم المنافقين انفعال غضبهم وغيظهم من الرسول الكريم حسدا له.

ب ـ كظم موسى غضبه من قومه أمام ربك، حتى عاد، أدبا مع الله[1].

(١) سبق الحديث عنه في موضع سابق بهذه الدراسة.

ج ـ كظم الغيظ يوم القيامة نتيجة انفعال الخوف..

د ـ مدح الله تعالي لكاظمين الغيظ [1].

الموضع الثالث: كظم المنافقين غيظهم.

نوع الانفعال: انفعال باطن حركي

قال تعالى ﴿**هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [آل عمران: ١١٩].

مع المفسرين:

القرطبي:

قوله تعالى: (**ها أنتم أولاء تحبونهم**) يعني المنافقين؛ دليله قوله تعالى: (**وإذا لقوكم قالوا آمنا**)؛ قاله أبو العالية ومقاتل. والمحبة هنا بمعنى المصافاة، أي أنتم أيها المسلمون تصافونهم ولا يصافونكم لنفاقهم. وقيل: المعنى تريدون لهم الإسلام وهم يريدون لكم الكفر. وقيل: المراد اليهود؛ قاله الأكثر. والكتاب اسم جنس؛ قال ابن عباس: يعني بالكتب. واليهود يؤمنون بالبعض؛ كما قال تعالى: (**وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه**) [البقرة: ٩١]. (**وإذا لقوكم قالوا آمنا**) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. (**وإذا خلوا**) فيما بينهم (**عضوا عليكم الأنامل**) يعني أطراف الأصابع (**من الغيظ**) والحنق عليكم فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى هؤلاء ظهروا وكثروا. والعض عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه؛ ... وعض الأنامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه، أو نزل به ما لا يقدر على تغييره. وهذا العض هو بالأسنان كعض اليد على فائت قريب الفوات وكقرع السن النادمة، إلى غير ذلك من عد الحصى والخط في الأرض للمهموم. وواحد الأنامل أنملة (بضم الميم)... قوله تعالى: (**قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور**) إن قيل: كيف لم يموتوا والله تعالى إذا قال لشيء كن فيكون. قيل عنه جوابان: أحدهما: قال فيه الطبري وكثير من المفسرين: هو دعاء عليهم. أي قل يا محمد أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا. فعلى هذا يتجه أن يدعو عليهم بهذا

---

(١) جاء ذلك في قوله تعالى مادحا المؤمنين: (**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) [آل عمران: ١٣٤].

مواجهة وغير مواجهة بخلاف اللعنة. الثاني: إن المعنى أخبرهم أنهم لا يدركون ما يؤملون، فإن الموت دون ذلك. فعلى هذا المعنى زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع والإغاظة. " [1].

تحليل النفسي:

تصور الآية ما يفعله المنافقون من كظمهم غيظهم أمام المؤمنين، ففي هذا الموقف الانفعالي؛ نجد نمطا جديدا من التعبير عن الانفعال بكبته وعدم إظهاره؛ والتعبير عنه عن طريق عقاب النفس وتعذيبها كتعبير عن الانفعال مكبوت، لقد حلل القرطبي هذه الصورة من الغضب المكبوت بدقة بالغة تدل علي علم الرجل وفهمه للقضية، ويأتي د. عثمان نجاتي بتفسير نفسي دقيق للظاهرة، مستشهدا بهذه الآية، يقول "و يميل الإنسان إلي أن يستجيب لانفعال الغضب بتوجيه العدوان إلي العقبات التي تعوق إشباع دوافعه أو تحقيق أهدافه، غير أن كثيرا ما يحدث أن ينقل الغضب أو يحول إلي أشخاص آخرين لم يكونوا هم في الحقيقة العقبة التي حالت دون تحقيق أهداف الإنسان؛ أو لم يكونوا هم السبب الحقيقي في إثارة انفعال الغضب ... وتعرف هذه العملية بالنقل وقد ورد في القرآن مثال لنقل الغضب فيما قام به موسى عليه السلام حينما غضب من قومه لعبادتهم العجل، ولكنه وجه غضبه لأول وهلة إلي أخيه هارون عليه السلام فأمسك برأسه ولحيته يجره إليه غاضبا ...أو قد يتجه إلي ذاته هو نفسه فيقوم ببعض السلوك العدواني الموجه إلي ذاته. وذكر القرآن مثالا واقعيا يوضح عملية نقل العدوان وتوجيهه إلي الذات بدلا من توجيهه إلي الشخص المثير للغضب في الحقيقة، وذلك حينما وصف القرآن المنافقين وذكر أنهم يعضون أناملهم من غيظهم من المؤمنين. وحينما يعض الإنسان أنامله من الغيظ، فهو إنما يوجه العدوان إلي نفسه، ويقوم بإيذائها ـ ولو بشكل رمزي ـ بدلا من توجيه العدوان إلي الآخرين وإيذائهم" [2].

تحليل لغوي:

تظهر قدرة اللغة علي التصوير الدقيق للانفعال وتنوعه من خلال استخدام (إذا) هنا في هذا الموقف الانفعالي، وعدم استخدام (إذ)، حيث (إذا) تتكون

(١) تفسير القرطبي، مجلد الثالث، ١٤٢٣.
(٢) القرآن وعلم النفس، ٨١.

صوتيا من مقطعين صوتيين هما: ص ح ص + ص ح ، و(إذ) تتكون من مقطع واحد هو: ص ح ص، أي أن (إذا) تحتاج إلي فترة زمنية أطول في النطق، مما يجعلها مناسبة أكثر للتعبير عن الانفعال الهادئ الذي في هذا الوقف، إنه انفعال غضب مكبوت مكظوم.مؤجل.

وفي مقابل ذلك نجد (إذ) تأتي في موقف افعال خوف شديد آخر، لكنه يشير إلي أحداث سريعة جدا تعبر عن فعل ورد الفعل في سرعة فائقة، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾ [الأحزاب: ١٠].

الموضع الرابع: كظم الناس خوفهم يوم القيامة

نوع الانفعال: انفعال باطن حركة داخلية:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

مع المفسرين:

القرطبي:

قوله تعالى: **(وأنذرهم يوم الآزفة)** أي يوم القيامة. سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب. وأزف فلان أي: قرب يأزف أزفا... **(إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين)** على الحال، وهو محمول على المعنى. قال الزجاج: المعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم ... وقال: المعنى إذ هم كاظمون. وقد قيل: إن المراد بـ " يوم الآزفة " يوم حضور المنية، قاله قطرب. وكذا إذ القلوب لدى الحناجر عند حضور المنية والأول أظهر. وقال قتادة: وقعت في الحناجر من المخافة فهي لا تخرج ولا تعود في أمكنتها، وهذا لا يكون إلا يوم القيامة [1].

الرازي:

المسألة الثانية: اختلفوا في أن المراد من قوله: **(إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين)** كناية عن شدة الخوف أو هو محمول على ظاهره، قيل: المراد وصف ذلك اليوم بشدة الخوف والفزع ... وقيل: بل هو محمول على ظاهره، قال الحسن: القلوب انتزعت من الصدور بسبب شدة الخوف، **(وبلغت القلوب**

(١) تفسير القرطبي، المجلد الثامن، ص٥٧٤٦.

الحناجر) فلا تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا، ولكنها مقبوضة كالسجال، وقوله: **(كاظمين)** أي مكروبين والكاظم: الساكت حال امتلائه غماً وغيظاً، فإن قيل: بم انتصب "كاظمين" ؟ قلنا: هو حال أصحاب القلوب على المعنى؛ لأن المراد إذ قلوبهم لدى الحناجر حال "كاظمين" كونهم، ويجوز أيضاً أن يكون حالاً عن القلوب، وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر، وإنما جمع الكاظمة جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء ... وبالجملة فالمقصود من الآية تقرير أمرين؛ أحدهما: الخوف الشديد وهو المراد من قوله: **(إذ القلوب لدى الحناجر)**، والثاني: العجز عن الكلام وهو المراد من قوله: **(كاظمين)** فإن الملهوف إذا قدر على الكلام حصلت له خفقة وسكون، أما إذا لم يقدر على الكلام وبث الشكوى عظم قلقه وقوي خوفه [1].

تحليل نفسي ولغوي للحدث:

عرض هذا الانفعال لعدة قضايا نفسية لغوية، منها:

أولاً: هذا الموقف الانفعالي يشير إلى حالة الخوف والفزع الذي ينزل علي الناس يوم القيامة، فالآزفة من أسماء يوم القيامة، وليس صحيحاً بأنه يوم خروج الروح، لأنه لا يتناسب مع الصفة الثانية للناس؛ فبعد بلوغ القلوب الحناجر من الخوف؛ لا يوجد سبب لحظة خروج الروح لكظم الخوف، فقد استسلمت الروح لباريها، أما في يوم القيامة فلا موت قط فالناس أحياء مقبلين علي حياة طويلة لا يعرفونها، فهم في خوف شديد من مجهول مقبل عليهم، إذن المقصود بالآزفة هو يوم القيامة.

ثانياً: الجمع بين عمليتين نفسيتين هما: شدة الخوف، حيث بلغت القلوب الحناجر، وبين محاولة إخفاء هذا الخوف، بكظمه، فحدث ذلك في سرعة فائقة وصورة متتالية وترتيب دقيق، فالإنسان يصبه الخوفُ أولاً، ثم يبدأ بعد ذلك في إخفائه بكظمه، بهذا الترتيب جاءت الآية، خوف ثم كظم له.

ثالثاً: استخدام (إذ) ذات المقطع الصوتي الواحد للدلالة علي سرعة في الحدث، وبيان عنصر المباغتة بصورة أكبر، مما أظهر سرعة الفعل ورد

(١) تفسير الرازي، المجلد الرابع عشر، ج٢٧، ٤٧ص.

الفعل، فجمع بينهما في جملة اسمية قصيرة مكونة من: مبتدأ وخبره؛ معقبا بالحال (كاظمين) فأخبر عن الخوف بمكان القلوب، وعن صفته بالحال.

الصورة الثانية للغضب: الإخبار عن الغضب فقط

ذُكر الغضب في مواضع كثيرة في القرآن في صورة أخبار يقص فيها الحق خبر غضب علي العاصين من عباده، أو من غضبوا من خلقه، كعملية إخبار فقط دون وصف أو تصوير لحالة الغضب هذه، ولكننا لن نقف عندها لأنها لم تصور لنا انفعال الغضب وما يتبعه من سلوك يصدر من الشخص الغاضب يمكن تحليله. وبيان الجوانب النفسية فيه ودور اللغة في إظهاره.من هذه الآيات:

١. قوله تعالى: ﴿فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١)

٢. قوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢)

التغيرات البدنية المصاحبة للانفعال:

"إذا انفعل الإنسان حدثت تغيرات فسيولوجية كثيرة في بدنه، كما حدثت تغيرات في هيئة بدنه الخارجية، وفي ملامح وجهه،..وقد وصف القرآن ما يحدث في القلب أثناء انفعال الخوف من خفقان شديد يؤدي إلي كثرة تدفق الدم إليه مما يزيد من حجمه ويجعله يقترب من القصبة الهوائية كما يؤدي إلي شعوره باقتراب قلبه من حنجرته " ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)(٣)﴾.

وقد تناولت هذه الآيات التي ذكرت التغيرات البدنية المصاحبة للانفعال في داخل الدراسة ضمنيا، ولا أريد أن أكررها.

---

(١) سورة البقرة، ٩٠.

(٢) سورة النور، ٩.

(٣) سورة الأحزاب، ١٠، ١١.